دراسة في التراجم

ابن الجوزي

الدكتور خضر الدوري

اسمه ونشأته الاولى :

هو ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزى* . ولد ابن الجوزي ببغداد وان تاريخ ولادته غير ثابت ، فروايات ترجعه الى سنة «٥٠٨ هـ» بينما اخرى ترجعه الى سنة «٥١٠هـ» ويظهر ان لابن الجوزي نفسه دخلا في امر اختلاف تاريخ ولادته ، فهو يرى انه من الضروري للشخص «ان يكتم مقدار السن لانه ان كان كبيراً استهرموه وان كان صغيراً احتقروه»«١».

لقد انحدر ابن الجوزي من عائلة موسرة فهو يذكر لنا ان اسلافه قد تشاغلوا «بالتجارة والبيع والشراء» وأن اباه «كان موسراً وخلف الوفا من المال» «٢» ويظهر ان اسلافه قد امتهنوا تجارة الصفر ولذلك نجد في سماعاته الاولى في الحديث يرد اسمه متبوعاً بلقب الصفار «٣» .

---

* وقد عرف بالجوزى « نسبة الى مشرعة الجوز « من محلات بغداد» ، او نسبة الى فرضة من فرض البصرة يقال لها: جوزة ، او لجوزة في دار جده بواسط ، او لفرضة الجوز ، او محلة بالبصرة تعرف بمحلة الجوز » عبد الحميد العلوجي ، مؤلفات ابن الجوزى ، ص ٦ .

« ١ » الجوزى ، صيد الخاطر « القاهرة» ١٩٢٧ ، ص ٢١٣ .

« ٢ » الجوزى ، لفتة الكبد الى نصيحة الولد « القاهرة ١٩٣١» ص ٨٥ ، ٩٠ .

« ٣ » ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة « القاهرة ١٩٥٢» ج ١ ص ٤٠ .

لقد توفي والده وهو ابن ثلاث سنوات، وبهذا الخصوص يقول: «انابي مات وانا لا اعقل» «٤» ويظهر ان امه لم تعن بتربيته، فتولت تربيته عمته «٥»، واخذته الى المسجد الذي كان يدرس فيه خاله الشيخ محمد بن ناصر، فدرس عليه القرآن والحديث «٦».

ويذكر انه تلقى اولى محاضراته في الحديث سنة « ٥١٦هـ / ١٢٢٢م » ومعنى ذلك انه بدأ دراسته وهو ابن ثمان او ست سنوات، كما وانه قد تلقى التعاليم الاولى في فنون الوعظ من شيخه ابي القاسم بن يعلي «٧» وعلى الرغم من المبلغ الذي حصل عليه كارث من والده والذي كان مقداره عشرين ديناراً ودارين، فان ابن الجوزي عاش في زمن طلبه للعلم عيشة ضنكة فهو يقول :

«فاخذت الدنانير واشتريت بها كتباً من كتب العلم وبعت الدارين وانفقت ثمنها في طلب العلم ولم يبق لي شيء من المال» ويتابع ابن الجوزي قوله مفتخراً بانه ما ذل «في طلب العلم قط ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ ولا بعث رقعة الى أحد يطلب منه شيئاً قط» «٨».

ويظهر ان المبلغ الذي ورثه عن والده كان قد نفد سريعاً وعندها عانى ابن الجوزي ما عانى اذ يقول: «انفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم... ولقد كنت في حلاوة طلب العلم القى من الشدائد ما هو عندي احلى من العسل لاجل ما اطلب وارجو. كنت في زمان الصبا آخذ معي ارغفة يابسة فاخرج في طلب الحديث، واقعد على نهر عيسى فلا اقدر على اكلها الا عند الماء، فكلما اكل لقمة شربت عليها. وعين همتي لا ترى الا لذة تحصيل العلم» «٩».

« ٤ » الجوزى ، صيد الخاطر ، ص ١٩٢ .

« ٥ » ابن رجب ، الذيل ، ج ١ ص ٤٠ .

« ٦ » ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب « القاهرة ١٣٥٠ هـ» ج ٤ص ٣٢٩ — ٣٣٠ .

« ٧ » سبط بن الجوزى ، مراة الزمان « شيكاغو ١٩٠٧ » ج ٨ ص١١٧ ، ١١٨ .

« ٨ » الجوزى ، لفتة الكبد ، ص ٨٥ — ٨٦ ، ٨٢ .

« ٩ » الجوزى ، صيد ، ص ١٩١ .

ويوضح اكثر وضعه المعاشي في فترة التحصيل قائلا «وكنت اصبح وليس لي مأكل وامسي وليس لي مأكل» «١٠».ان وضعا كالذي عاشه ابن الجوزي جعله يدرك بل ويبالغ في قيمة المادة في التحصيل العلمي فكان كثيراً ما يكرر في كتبه ان «ليس في الدنيا انفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس، فانه اذا ضم الى العلم حيز الكمال، وان جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب، فاحتاجوا الى ما لابد منه، وقل الصبر فدخلوا مداخل شانتهم وان تأولوا فيها ...فعليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس فانه يجمع لك دينك» «١١» وقد يتبين مقدار خطورة رأي ابن الجوزي هذا اذا تذكرنا ان العصر الذي عاشه كان عصر ازدهار للصوفية ولفكرها في التوكل، بل ان الجوزي ينصح قائلا: «ينبغي للعالم والعابد ان يحرك في معاش كنسخ باجرة او عمل الخوص» «١٢»، وينصح كذلك من يضعف عن الكسب بان يتعفف عن النكاح ويقلل النفقة في حالة انجابه للاولاد، وان يقنع بالشيء اليسير، اما من كان له مال فينصحه ابن الجوزي بالاجتهاد في تنميته وحفظه «١٣». ويعالج ابن الجوزي نفس الموضوع مرجعاً اسباب عوز اهل العلم الى انقطاع ما كان يصلهم من بيت المال ومن صلات الاخوان. «١٤»

ويبدو ان ابن الجوزي قد يكون متأثراً في رأيه هذا بابن عقيل «١٥» ان معالجة ابن الجوزي لهذا الموضوع في الحقيقة انما هو عرض لمشكلة طالما تطرق اليها الكثير ممن كتب في الاخلاق وفي السياسة الا وهي الخوف من الاتصال بالسلطة وتفضيل العزلة .

«١٠» الجوزى ، لفتة ، ص ٨٢ .

«١١» المصدر السابق ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

«١٢» نفس المصدر ، ص ٣٩٥ .

«١٣» نفس المصدر ، ص ٣٢٤ .

«١٤» نفس المصدر ، ص ١٠ ، ٧٣ ، ٣٢٤ .

«١٥» الجوزى ، المنتظم ، ج٩ ، ص ٦٧ — ٦٨ .

علاقته بالسلطة :

لم يكن ابن الجوزي، في بداية امره وطلبه للعلم، على صلة بالسلطة ولا راغباً في ذلك بل انه كان يميل الى الزهد «١٦» حيث انه اشار الى اقتدائه في صباه بقول ابي طالب المكي في كتابه «قوت القلوب» بخصوص الزهد فشرع يقلل من اكله «فضاق المعى واوجب ذلك مرض سنين» «١٧» وفي مكان اخر يشير ابن الجوزي الى ميله للزهد ثم انحرافه وارتباطه بالسلطة فيقول «كنت في بداية الصبوة قد الهمت سلوك طريق الزهاد، بادامة الصوم والصلاة، وحببت الى الخلوة، فكنت اجد قلباً طيباً. وكانت عين بصيرتي قوية الحدة تتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات، ولي نوع انس وحلاوة مناجاة. فانتهى الامر الى ان صار بعض ولاة الامور يستحسن كلامي فامالني اليه فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة، ثم استمالني آخر فكنت اتقي مخالطته ومطاعمه، لخوف الشبهات. وكانت حالتي مريبة، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح، فعدم ما كنت اجد، وصارت المخالطة «للسلطة» توجب ظلمة في القلب الى ان عدم النور كله «وهذه الحال جعلت ابن الجوزي يعاني من مرض نفسي وشعور بالاثم نتيجة اتصاله بالحكام اذ يقول «وكثر ضجيجي من مرضي، وعجزت عن طب نفسي فلجأت الى قبور الصالحين، وتوسلت في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي بي الى الخلوة على كراهة مني ورد قلبي علي بعد نفوره عني واراني عيب ما كنت اوثره فافقت من مرض غفلتي» «١٨».

والظاهر ان الفترة التي امضاها على اتصال بالسلطة كانت طويلة بعض الشيء وقد ذكر لنا هو جملة من الاخبار التي تشير الى وثاقة صلته بالسلطة خصوصاً ايام وزارة الوزير — الحنبلي — ابن هبيرة «١٩». وكثيراً ما كان يلتقي بابن هبيرة اذ جعل له الاخير «مجلساً في داره كل جمعة يحضره ويطلق

«١٦» ابن رجب ، الذيل ج ١ ، ص٤٠٣ .

«١٧» الجوزى ، صيد ، ص ١٧ .

«١٨» نفس المصدر ، ص ٥٨ — ٦٠ وكذلك ص ٣٣١ .

«١٩» ابن رجب ، الذيل ، ج ١ ص ٤٠٣ .

العوام في الحضور» «٢٠».ان اتصاله بالسلطة ازداد وثوقاً ايام خلافة المستضيء وخصوصاً الفترة ما بين ٥٦٦ — ٥٩٠ هـ فكان الخليفة يخلع عليه الخلع ويرسل له الهدايا «٢١» ويدعوه الى ولائمه التي يقيمها «٢٢» ويحضر هو وامه لسماع مجالس وعظه «٢٣» وابن الجوزي بدوره كان يحضر مع الوفود للتهنئة بالمناسبات المختلفة «٢٤» .

ومما يشير الى قوة صلته بالسلطة هو عقد قران ابنته رابعة الذي جرى سنة ٥٧١ في باب الحجرة وهو اشرف مكان في دار الخلافة وحضر العقد قاضي القضاة ونقيب النقباء وجماعة من الشهود والخدم والاكابر. وكان عقدها على ابن الوزير السابق يحيى بن هبيرة. اما زفافها فكان من دار الجهة المعظمة ام الخليفة وكانت قد جهزتها الجهة بمال كثير «٢٥».

ان علاقته القوية بالسلطة وكونه حنبلياً انعكس في كرهه للروافض وعدائه للباطنية، فعندما اسقطت الدولة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧هـ صنف ابن الجوزي كتاباً اسماه«النصر على مصر»وعرضه على الخليفة المستضيء«٢٦» والف لنفس الخليفة كتابا اخر سماه«المصباح المضيء في خلافة المستضيء» .

ويشبه ابن الجوزى قوة علاقته بالخليفة بعلاقة كل من سلمان الفارسي وحسان بن ثابت بالرسول «ص» « ٢٧ » .

« ٢٠ » المنتظم ، ج ١٠ ص ٢١٥ ، هذا وان ابن الجوزى كان هو الذى غسل جثة الوزير عند موته وكان من بين المصلين على الخليفة المستنجد وتكلم ثلاثة ايام في عزاء الخليفة . المنتظم ج ١٠ ص ٢١٦ ، ٢٣٣ — ٢٣٦ .

« ٢١ » نفس المصدر ، ج ١٠ ، ص ٢٣٥ .

« ٢٢ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ .

« ٢٣ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

« ٢٤ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

« ٢٥ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٢٥٧ ، ٢٦٢ .

« ٢٦ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢٣٧ .

« ٢٧ » نفس المصدر : ج ١ ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، وانظر عن علاقته القوية بالوزراء وكبار الموظفين ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٤٣ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ .

ان علاقة ابن الجوزى بالسلطة كان لها طابعها الرسمي والشعبي في آن واحد فقد كان ابن الجوزى احد الثلاثة من الوعاظ الذين سمحت لهم السلطة وحدهم باقامة مجالس الوعظ ببغداد وكان ابن الجوزى ممثلا عن المذهب الحنبلي بينما الاخران عن الشافعي والحنفي « ٢٨ » .

وفي سنة ٥٧١ لقب ابن الجوزى « ناصر السنة » «٢٩» وفي نفس السنة اعطي ابن الجوزى صلاحيات من الخليفة في محاربة البدع « ٣٠ » .

ان اتصالاته بالسلطة جلبت له متاعب ايضا ففي عصر كانت العلاقات الشخصية والمذهبية هي المعيار الوحيد في التقييم نجد ان ابن الجوزى يحاسب لعلاقته بابن يونس استاذ دار الخليفة فعند مجيء ابن القصاب وزيرا في سنة ٥٩٠ هـ نكل بابن الجوزى وختم على كتبه وداره وابعد الى واسط حيث اقام هناك منفيا مدة خمس سنوات الى ان استشفع له وعاد الى بغداد سنة ٥٩٥، وخلع عليه وجلس عند تربة ام الخليفة وكانت تتعصب له وساعدت في خلاصه « ٣١ » .

لقد امضى ابن الجوزى فترة ابعاده في التعبد والمطالعة ويذكر لنا سبطه انه «لما عاد الى بغداد سمعته يقول قرأت بواسط مدة مقامي كل يوم ختمةً» وكان « يخدم نفسه ويغسل ثوبه ويطبخ ويستقي الماء من البئر ولم يدخل الحمام» « ٣٢ » .

ويظهر من ذلك انه عاد له ميله الاول نحو الزهد والعزلة وربما يعود الى هذه الفترة قوله: «ما اعرف للعالم قط لذة ولا عزا ولا شرفا ولا راحة ولا سلامة افضل من العزلة ، فانه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز

« ٢٨ » نفس المصدر : ج ١٠ ص ٢٤٢ ، ٢٥٩ .

« ٢٩ » نفس المصدر : ج ١٠ ص ٢٥٨ .

« ٣٠ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٢٥٩ .

« ٣١ » سبط ، المرآة : ج ٨ ص ٤٣٨ ، ٤٥٩ .

« ٣٢ » نفس المصدر : ص ٤٥٩ .

وجل وعند الخلق . . .» «٣٣» ، وكان يتعوذ بالله من عالم مخالط للعالم. خصوصا لارباب المال والسلاطين ويضرب مثالا على ذلك قاضي القضاة أبا يوسف اذ «لا يزور قبره اثنان» «٣٤».

تحصيله العلم :

اما بخصوص تحصيله العلمي فيذكر لنا ابن الجوزي قائلا: «اني رجل حبب الي العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به» «٣٥» ويرى ان هذا الاهتمام بالعلم امر طبيعي حيث ان الله قد ركزه في طبعه «٣٦» ويرجعه ايضاً الى «علو همته» «٣٧» ولم يحبب الى ابن الجوزي فن واحد من العلم بل فنونه، وان همته في فن ما كانت لا تقتصر «على بعضه» بل يروم «استقصاءه» «والايغال في كل علم الى منتهاه» «٣٨» ومع ذلك فابن الجوزي يعترف بان هذا «امر يعجز العمر عن بعضه» ولذا كانت هذه مسألة اضجرته اذ يرى ان « من علت همته يختار المعالي، وقد لا يساعد الزمان. وقد تضعف الالة، فيبقى في عذاب» ، وهذا ما كان عليه ابن الجوزي الا انه مع ذلك يمتنع عن ان يقول عن حبه للعلم «ليته لم يكن فانه انما يحلو العيش بقدر عدم العقل بل كان يرى بان العاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل» «٣٩» وكان يكرر قائلا «يا ليتني قدرت على عمر نوح» «٤٠» ويذكر لنا ابن الجوزي ان «افضل الاشياء التزيد من العلم، فانه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعاً له من الاستفادة والمذاكرة تبين له خطأه» «٤١» .

« ٣٣ » صيد : ص ١٨٩ .

« ٣٤ » نفس المصدر : ص ٢١٤ ، ٢٣٦ ، انظر كذلك ص ٦١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٧٤ ، الجوزى: تلبيس ابليس « القاهرة » ، ص ١١٨ .

« ٣٥ » صيد ، ص ٢٢ .

« ٣٦ » ابن الجوزى ، ذم الهوى « القاهرة ١٩٦٢ » ص ٥ .

« ٣٧ » المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

« ٣٨ » نفس المصدر ، ص ٢٢ ، ١٩٥ ، ٣٥٧ .

« ٣٩ » نفس المصدر ، ص ١٩٤ .

« ٤٠ » نفس المصدر ، ص ٨٥ .

« ٤١ » نفس المصدر ، ص ٨٧ .

وطالما ان العلوم كثيرة ومختلفة في الاهمية وان العمر قصير فابن الجوزي يضع منهجاً للتحصيل يرى فيه ان اول ما يبدأ به الصبي هو «التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث ويحصل له المحفوظات اكثر من المسموعات، لان زمان الحفظ الى خمس عشرة سنة، فاذا بلغ تشتت همته. فليضرب تارة وليرش اخرى.....واول ماينبغي ان يكلف حفظ القرآن متقناً...ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن، ثم الفقه مذهباً وخلافاً. وما امكن بعد هذا من العلوم فحفظه حسن. وليحذر من عادات اصحاب الحديث، فانهم يفنون الزمان في سماع الاجزاء التي تتكرر فيها الاحاديث» «٤٢». وفي مكان آخر نجده يجعل التفسير العلم الثاني في الاهمية بعد حفظ القرآن، ثم يؤكد ثانية على اهمية الفقه «٤٣»، واصوله والفرائض ويقول: «وليعلم ان الفقه عليه مدار العلوم، ويكفيه من النظر في الاصول مايستدل به على وجود الصانع» ويضع في الاخير النظر في التواريخ «ليعرف مالايستغني عنه كنسب الرسول «ص» واقاربه وازواجه وما جرى له» «٤٤» وكنتيجة لتجربة ابن الجوزي الخاصة وذوقه وجد «ان الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاديكفي في صلاح القلب، الا ان يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين» اذ ان هذا سبب لرقة القلب كما وانه كان الدافع الذي دفع ابن الجوزي الى تأليفه سير الحسن البصري وسفيان الثوري وابراهيم ابن ادهم، وبشر الحافي ومعروف الكرخي، وأحمد بن حنبل وغيرهم «٤٥».

لقد بدأ ابن الجوزي تعليمه وهو ما يزال صغيراً «٤٦» وكان نشطاً جداً في تحصيله اذ يقول «ولقد كنت ادور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي من العدو لئلا اسبق» «٤٧» وبالفعل فقد رأى ابن الجوزي انه «في ميدان

«٤٢» نفس المصدر، ص ١٩٩ — ٢٠٠، ٣٥٧.

«٤٣» نفس المصدر، ص ١٤١، ٢٥٥، ١٢٩.

«٤٤» نفس المصدر، ص ١٣٥ — ١٣٦.

«٤٥» نفس المصدر، ص ١٧٤ — ١٧٥.

«٤٦» العماد، شذرات، ج ٤ ص ٢٢٩ — ٢٣٠.

«٤٧» لفتة: ص ٨٢.

سباق والاوقات تنتهب» و كان يقول «لا تخلد الى الكسل فما فات من فات الا بالكسل، ولا نال من نال الا بالجد والعزم»«٤٨»وقد قسم ابن الجوزي يوم طالب العلم الى قسمين: الاول للحفظ ويكون«في طرفي النهار وطرفي الليل»بينما «يوزع الباقي بين عمل بالنسخ والمطالعة وبين راحة للبدن واخذ لحظة»«٤٩».

وقد عرف ابن الجوزي باتباعه هذا الاسلوب في التحصيل فكان «لا يضيع من زمانه شيئاً..وكان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة»«٥٠».ومن حرصه على الوقت كان ابن الجوزي يتفادى الزيارات التي يقوم بها البعض و كان يعد مسبقاً«اعمالا تمنع من المحادثة لاوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً»ومن ذلك«قطع الكاغد وبري الاقلام،وحزم الدفاتر فان هذه الاشياء»يقول ابن الجوزي «لابد منها،ولا تحتاج الى فكر وحضور قلب فارصدتها لاوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي» «٥١».

ان ادراكه لاهمية الوقت واستغلاله له بالشكل الذي رسمه انعكس في شدة شغفه بالمطالعة اذ يقول «واني...ما اشبع من مطالعة الكتب.واذا رأيت كتاباً لم اره فكأني وقعت على كنز.ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فاذا به يحتوي على نحو ستة الاف مجلد.وفي ثبت كتب ابي حنيفة و كتب الحميدي «٥٢» و كتب شيخنا عبد الوهاب بن ناصر و كتب ابي محمد بن الخشاب و كانت احمالا وغير ذلك من كل كتاب اقدر عليه. ولو قلت اني طالعت عشرين الف مجلد كان اكثر وانا بعد في الطلب.فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع فصرت استزري ماالناس فيهواحتقر هممالطلاب» «٥٣».

«٤٨» صيد : ص ١٢٨ .

«٤٩» نفس المصدر : ص ١٦٥ — ١٦٦ .

«٥٠» شذرات : ج ٤ ص ٣٣ .

«٥١» المصدر السابق : ص ١٨٥ .

«٥٢» المنتظم : ج ٩ ص ٩٦ ، ياقوت ، الارشاد ج ٧ ص ٥٨ — ٦٠ .

«٥٣» صيد : ص ٣٦٦ — ٣٦٧ .

لقد تتلمذ ابن الجوزي على عدد من الشيوخ وسمع عن الكثير من المحدثين حتى بلغوا ثمانية وثمانين شيخاً«٥٤»وقد انتقد ابن الجوزي من قبل الذهبي على انه «لم يسمع الا ببغداد ولا روى الا من بضعة وثمانين نفساً»«٥٥».

ويمكن ان نذكر من شيوخه على سبيل المثال لا الحصر شيخه الاول محمد بن ناصر «ت ٥٥٠هـ» حيث سمع منه الحديث «٥٦» وعلي بن يعلي العلوي «ت٥٢٧هـ» وهو اول من علمه فنون الوعظ «٥٧» وعبد الوهاب الانماطي «ت ٥٣٨ هـ» الذي يقول الجوزي عنه «استفدت ببكائه اكثر من استفادتي بروايته . . . وانتفعت به ما لم انتفع بغيره»«٥٨» ودرس اللغة على ابي منصور الجواليقي ودرس الفقه على ابي بكر الدينوري «٥٩» وكذلك الفقه والوعظ على علي بن عبيد الله الزاغوني «ت ٥٢٧» «٦٠» .

آراؤه الدينية :

عاش ابن الجوزي في فترة كان قد خسر فيها الفلاسفة وعلماء الكلام المعركة امام اصحاب التقليد من اهل السنة كما وان عصره امتاز بشدة الصراع المذهبي بين اهل السنة انفسهم على اختلاف مذاهبهم وبينهم وبين فرق الشيعة خصوصا الغلاة ممن وصفوا بالباطنية او الرافضة ، يضاف الى ذلك ازدياد تأثير ونشاط الصوفية الفكري والسياسي والاجتماعي. والذي يقرأ لابن الجوزى يجد مظاهر شتى : نظرية وواقعية لهذه الصراعات . لقد عالج ابن الجوزى مشاكل عصره من زوايا متعددة وان اهم مايميز نظرته هو محاولته التوفيق بين ماجاء في الشرع من ادلة وبين مايراه العقل ولو انه في معظم الاحوال يرجح حكم الشرع اولا . كذلك تمتاز معالجته للقضايا الفكرية بتأثره الكبير

« ٥٤ » شذرات : ج ٤ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .
« ٥٥ » الذهبي : تاريخ الاسلام ، مخطوطة — البودليان ، اوكسفورد ورقة ١٢٠ — ١٢١
« ٥٦ » المنتظم : ج ١٠ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ .
« ٥٧ » نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٢ .
« ٥٨ » نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ١٠٨ .
« ٥٩ » نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣١ .
« ٦٠ » نفس المصدر : ج ١٠ ، ص ٣٠ — ٣٢ .

بابي الوفاء ابن عقيل . على الرغم من ذكاء ابن الجوزى فانه يبدو احيانا متناقضا او غير دقيق في آرائه ، وقد يكون سبب ذلك ليس فقط صعوبة الموضوعات التي عالجها وتشعب الاراء فيها بل ربما كان ذلك بسبب ضغوط او عوامل سياسية معينة تدعوه الى التغيير . فالجوزى يؤكد فضل العقل ويعتبره «اعظم النعم على الانسان . . . لانه الآلة في معرفة الاله سبحانه والسبب الذي يتوصل به الى تصديق الرسل ، الاانه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بعثت الرسل وانزلت الكتب . . . ولما ثبت عند العقل اقوال الانبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم اليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم» «٦١» .

اذن فالعقل على فضله عند الجوزى هو غير قادر على ان يدرك كل الامور المرادة من العبد وهنا يأتي دور الشريعة لتكمل العقل . فالاعتماد على العقل وحده قد يكون سببا في الانحراف عن الخط الصحيح ومن هذه الزاوية يوجه الجوزى نقده للفلسفة فيقول «تأملت الدخل الذي دخل في ديننا في العلم والعمل فرأيته من طريقتين . . . فاما اصل الدخل في العلم والاعتقاد فمن الفلسفة . . واما اصل الدخل في باب العمل فمن الرهبانية » «٦٢» .

ان مبدأ دخول الفلاسفة في الاسلام «هو ان خلقا من العلماء في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله «ص» من الانعكاف على الكتاب والسنة فاوغلوا في النظر في مذاهب اهل الفلسفة وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب ردية افسدوا بها العقائد» «٦٣» الا ان الجوزى لا يلقي اللوم على جميع الفلاسفة «٦٤» لا سيما وانه يستشهد احيانا بكلامهم «٦٥» بل انه يبرئهم مما ينسب اليهم

« ٦١ » تلبيس ابليس : ص ٢ .

« ٦٢ » صيد ، ص ١٨٤ .

« ٦٣ » نفس المصدر والصفحة .

« ٦٤ » امثال سقراط وابوقراط وارسطو وجالينوس . على الرغم من ان الجوزى يعرف هؤلاء ويسميهم احيانا « الاوائل» الا انه يكشف عن عدم فهم للبعض الاخر فمثلا نجده يعرف السفسطائيين بانهم « قوم ينسبون الى رجل يقال له سوفسطا » تلبيس ص ٣٩ .

« ٦٥ » تلبيس ، ص ١٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ذم الهوى : ص ٢٨٩ — ٢٩٢ .

من نكرانهم الصانع ودفعهم للشرائع ويرى ان مايحكى عنهم «محال : فان اكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات ، وانما اهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية» «٦٦» ، وانه يأخذ على الفلاسفة المسلمين ومتكلميهم تحيرهم وتناقضهم «٦٧» ويرد عليهم بانه لا ينكر وجود النفس «٦٨» بعد الموت ولا ان لها نعيما وشقاء ولكن ينكر عليهم انكارهم حشر الاجسام . ويؤكد كذلك بانه لا ينكر «اللذات والالام الجسمانية في الجنة والنار» مؤكدا بأن الشرع قد جاء بذلك ، كما وانه يؤمن «بالجمع بين السعادتين ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية » وبأن «القدرة لا يقف بين يديها شيء» وهنا يرد على من يقول بأن «الابدان تنحل وتؤكل وتستحيل » «٦٩» .

ويحذر ابن الجوزى الصوام من المتكلمين «لانهم يخبطون عقائدهم بما يسمعونه منهم» «٧٠» وفي معرض رده وذمه للمتكلمين يستشهد باقوال كالتي تنسب للشافعي واحمد بن حنبل الذي وصفهم بانهم زنادقة «٧١» ، الا ان هذا لا يمنعه من ان يورد قول ابن عقيل «والمتكلمون عندي خير من الصوفية لان المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه» «٧٢» .

على الرغم من ميل الجوزى في صغره ثم في شيخوخته الى الزهد فكرا وسلوكا «٧٣» الا انه اشتهر بعدائه للصوفية والزهاد فقد كرس الجزء الاكبر من كتابه تلبيس ابليس وجزءاً من صيد الخاطر اضافة الى كتابه المنتظم ، لنقد عادات المتصوفة التي رآها بعيدة عن الشرع . فهو يرى ان سبب بدء ظهور

« ٦٦ » نفس المصدر ، ص ٤٨ – ٤٩ .

« ٦٧ » نفس المصدر ، ص ٤٩ ، ٨٠ .

« ٦٨ » يبدو ان الجوزى يرى ان «نفس المؤمن طائر تعلق في شجرة الجنة حتى يرده الله عز وجل الى جسده يوم يبعثه » وهذا حديث نبوي ، صيد ص ٢٢٣ .

« ٦٩ » تلبيس ، ص ٤٧ .

« ٧٠ » صيد ، ص ٢٢١ .

« ٧١ » المصدر السابق ، ص ٨٠ .

« ٧٢ » نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .

« ٧٣ » ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١٣ .

الافراط في الزهد هو الجهل بالعلم وقرب العهد بالرهبانية «٧٤» .

ويقرر بان اكثر أحوال الصوفية والزهاد «منحرف عن الشريعة» وسببه «الجهل بالشرع » او «الابتداع بالرأى» «٧٥» وينتقد بناءهم للربط بانهم «جعلوا للمساجد نظيرا يقلل جمعها . . . وانها مناخ للبطالة» «٧٦» وانها «خوارج عن المساجد وهي دكاكين كريهة يقعد فيها الكسالى عن الكسب مع القدرة عليه» «٧٧» ، ويبالغ في انتقاده فيقول بان «رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه ، وان قوما قرأوا الحديث في رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه» «٧٨» .

في الوقت الذي ينتقد الجوزى القصص التي تروى عن بعض الصوفية نجده يؤكد عدم انكاره لما صح من «كرامات الاولياء الصالحين» التي تنسجم مع الشرع «٧٩» ، وبعبارة اخرى من استطاع منهم ان يجمع بين العلم والعمل . ويرى ان هنالك اربعة في الاسلام ممن بلغ هذه الدرجة من الكمال وهم سعيد ابن المسيب والحسن البصري وسفيان الثوري واحمد بن حنبل وقد افرد لاخبار كل منهم كتابا «٨٠» .

ان انكاره لبعض القصص الصوفي اثار عليه عجب البعض من مؤرخي الصوفية فيقول اليافعي في كتابه روض الرياحين «والعجب من المنكر المذكور «الجوزى» في انكار مثل هذا مع انه يعتقد القوم ويطرز كلامه بكلامهم وحكاياتهم وكراماتهم » «٨١» .

« ٧٤ » صيد ، ص ١٦ .

« ٧٥ » نفس المصدر ، ص ١٣ .

« ٧٦ » تلبيس ، ص ١٦٩ . ١٧٠ .

« ٧٧ » صيد ، ص ٢٧٩ .

« ٧٨ » تلبيس ، ص ١٧٠ .

« ٧٩ » المصدر السابق ، ص ١٦ .

« ٨٠ » صيد ، ص ٣٩ ، لفتة ، ص ٨٧ ولقد الف ابن الجوزى كتابا ذكر فيه الكثير من القصص التي تحمل كرامات الصوفية ودعاه «نرجس القلوب والدال الى طريق المحبوب » .

« ٨١ » اليافعي ، روض الرياحين ، مخطوطة مكتبة دائرة الهند ، لندن ورقة ٢٩٢ .

اننا لانستطيع ان نغفل الدور الذي لعبته ميول الجوزى المذهبية والشخصية في هجومه على الصوفية ، فكونه فقيها ومتصلا بالسلطة جعله يكره الصوفية الذين كانوا يصارعون الفقهاء مراكزهم لدى السلطان . هذا اضافة الى ان الجوزى حنبلي وان الكثير من المتصوفة في زمانه كانوا من الشافعية بل اننا نجده لا ينصف الجيلاني في ترجمته له والتي كانت قصيرة جداً على الرغم من انه حنبلي ايضا «٨٢» .

ويبدو ان ابن الجوزى قد آمن بما روى عن العباس قوله «فقيه واحد اشد على ابليس من الف عابد» «٨٣» هذا وربما كان لكتابات ابي الوفاء ابن عقيل فيما يخص الصوفية تأثير على الجوزى «٨٤» .

لقد خاض ابن الجوزى مع من خاض في مسألة الظاهر والباطن متبعا اراء ابن عقيل من ان الاسلام هلك «بين طائفتين . . الباطنية والظاهرية . . والحق بين المنزلتين وهو ان نأخذ بالظاهر مالم يصرفنا عنها دليل ونفرض كل باطن لايشهد به دليل من ادلة الشرع» «٨٥» .

يصف الجوزى الباطنية بأنهم «قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض» «٨٦» ويرى انه لاينفع سلوك المجادلة العلمية مع رئيسهم » بل « التوبيخ والازدراء على عقله وعقول اتباعه » «٨٧» .

ان معلومات الجوزى عن الباطنية خصوصا التي ضمنها في المنتظم تشير الى فهم جيد لهذه الفرقة الاانه خصوصا قبل اتصاله بالسلطة وبعد تخلي السلطة عنه لا يظهر عداء للشيعة بل انه يقف موقفا محايداً وينتقد كلا من الشيعة «اهل الكرخ» والسنة «اهل باب البصرة » قائلا «ونرى كثيرا ممن يخاصم في هذا

« ٨٢ » المنتظم ، ج ١٠ ص ٢١٩ .

« ٨٣ » صيد ، ص ٢٠ .

« ٨٤ » تلبيس ، ص ٦٦ — ٦٧ ، شذرات ، ج ٤ ص ٣٣١ .

« ٨٥ » تلبيس ، ص ١٠٥ .

« ٨٦ » نفس المصدر : ص ٩١ ، ١٠٤ .

« ٨٧ » نفس المصدر : ص ١٠٦ .

«العصبية لابي بكر او لعلي» يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وابو بكر وعلي بريئان منهم» «٨٨» .

واشتهر ابن الجوزى ايضا بموقفه الايجابي وتحليله البعيد عن التحيز من الحرب بين عائشة وعلي «٨٩» وروى سبطه عنه انه قال «ماوقع الخلاف بين الصحابة وبين علي عليه السلام الا والحق مع علي » «٩٠» ويذهب اكثر من ذلك عندما ينتقد يزيد بن معاوية ويؤلف كتابا في ذلك مما حدا بعبد المغيث البغدادي «ت ٥٨٢ هـ» ان يخاصم ابن الجوزى ويصنف كتابا فيه فضائل يزيد ردا على ابن الجوزى «٩١» بل اننا نجد ان الجوزى كان قد اتهم — بسبب الخوف — بالميل الى الشيعة «٩٢» .

ان النشاط الثقافي — المذهبي الذي شهدته بغداد خلال العصر السلجوقي كان له اثره في اثارة المجادلات الكلامية حول الله وصفاته والروح . . . الخ . والجوزى كما يشير هو كان يحذر من الخوض في هذه المواضيع على اخذها كماجاءت بلا تأويل كي يسلموا من «تشبيه المجسمة وتعطيل المعطلة» «٩٣» . وقد ذكر لنا بانه كان قد الف كتابا عرض فيه آراء المشبهة وردها ودعاه: منهاج الوصل الى علم الاصول «٩٤» .

ويرى ان هنالك امورا امر الناس «بعلم جهلها ، من غير بحث عن حقائقها كالروح . . . . والعقل » ويتساءل الجوزى «لوقال قائل : ماالصواعق .وما البرق . وماالزلازل ؟ قلنا : شيء مزعج ، ويكفي . والسر في ستر هذا . انه لو كشفت حقائقه خف مقدار تعظيمه» «٩٥» .

« ٨٨ » نفس المصدر : ص ٣٧٦ ، ٣٨٠ .
« ٨٩ » المنتظم : ج ١٠ ، ص ٢٨٦ . ابن رجب ، الذيل ، ج ١ ص ٤٣٣ .
« ٩٠ » سبط ، مرآة ، ج ٨ ص ٣٥٠ — ٣٥١ .
« ٩١ » الذهبي ، تاريخ ، مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني ورقة ١٣ .
« ٩٢ » نفس المصدر ، ورقة ٦٣ — ٦٤ .
« ٩٣ » صيد ، ص ٥٧ ، ٧٩ — ٨٠ ، ٧٨ ، ٦٣ ، ١٧٨ .
« ٩٤ » تلبيس ، ص ٨٤ .
« ٩٥ » المصدر السابق ، ص ٥٦ .

ان خوض ابن الجوزي في هذه القضايا المذهبية جلب عليه نقمة اصحاب المذاهب الاخرى ويبدو انه لم يكن يبالي في اول الامر فقد «قيل له مرة : قلل من ذكر اهل البدع مخافة الفتن فانشد :

اتوب اليك يارحمـــن ممـــا جنيت فقد تعاظمـــت الذنوب
واما من هوى ليلى وحـــبي زيارتـــها ، فاني لا اتوب «٩٦»

وقد جرت بينه وبين «ارباب الولايات» عداوة بسبب الاعتقاد المذهبي ممن «يميل الى مذهب الاشعري » ومن يميل الى مذهب الروافض» «٩٧» ويبدو ان الوزير ابن هبيرة كان حاميه في هذه العداوة فلما مات سعي به الى الخليفة «٩٨» . فالجوزي اذن لم يكن مخاصما للروافض فحسب بل للاشاعرة ومن يميل اليهم او يسندهم من الشافعية «٩٩» .

وعلى الرغم من تأكيد ابن الجوزي على ضرورة السير على «طريق السلف» الاانه كان يأخذ بما قاله احمد بن حنبل « من ضيق علم الرجل ان يقلد في دينه الرجال فلاينبغي ان تسمع من معظم في النفوس شيئا في الاصول فتقلده فيه » «١٠٠» ومن هذا المنطلق وجه ابن الجوزي هجومه على التقليد ورفضه كمنهج له في الحياة ، بل نجده وصف المقلد بانه اعمى «١٠١» وان التقليد من شأن العوام «١٠٢» واعتبر التقليد بانه «من اقبح النقص» ويرى ان من «قويت همته رقته الى ان يختار لنفسه مذهبا ولا يتمذهب لاحد» «١٠٣».

ان آراء الجوزي لم تجلب عليه نقمة المذاهب الاخرى فحسب بل حتى رفاقه الحنابلة الذين وقف يدافع عنهم ويوضح عقيدتهم . بل ان كلامه في

« ٩٦ » ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، الطبعة الاولى « دمشق ١٩٦٤ » ج ١ ص ٢٥
« ٩٧ » صيد ، ص ١٧٨ .
« ٩٨ » المنتظم ج ١٠ ، ص ٢١٣ — ٢١٤ .
« ٩٩ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢١٧ — ٢١٨ ، وهامش رقم «١» في نفس الصفحة .
« ١٠٠ » صيد ، ص ٩٣ ، وانظر ايضا ص ٨٥ .
« ١٠١ » نفس المصدر ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .
« ١٠٢ » تلبيس ص ٧٩ — ٨٠ .
« ١٠٣ » صيد ، ص ١٢٨ .

وعظه كان السبب في رفع شأن المذهب لدى السلطان «١٠٤» الاانه لم يكن متعصبا في الاعتقاد كالحنابلة وكان يفسح مجالا لحرية الرأى في فكـره ، ومعارضته للتقليد فنجده يخالف صاحب مذهبه احمد بن حنبل في امور يقول فيها «ومنعني الدليل من اتباعه في هذا» «١٠٥» ويصف لنا ماجرى له مرة مع اصحابه من الحنابلة اذ سئل «هل في مسند احمد ماليس بصحيح؟» فقال: «نعم . فعظم ذلك على جماعة ينسبون الى المذهب» وكتبوا فتاوى «يعظمون هذا القول . ويردونه ويقبحون قول من قاله» «١٠٦» .

ان النقمة على ابن الجوزى جاءت عن طريق اتهامه بالتأويل فيذكر لنا احد الحنابلة من ان «الذي من اجله نقم جماعة من مشايخ اصحابنا «الحنابلة» وأئمتهم من المقادسة والعلثيين — من ميله الى التأويل في بعض كلامه ، واشتد نكيرهم عليه في ذلك ولاريب ان كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو ،وان كان مطلعا على الاحاديث والاثار في هذا الباب ، فلم يكن خبيرا بحل شبهة المتكلمين وبيان فسادها» «١٠٧» ويتبين لنا من بين هؤلاء المقادسة الذين انتقدوا الجوزى هو الشيخ موفق الدين المقدسي الحنبلي الذي يقول «اننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها» «١٠٨» وقد انتقد الجوزى ايضا من قبل الذهبي اذ اتهمه بانه «يوما اشعرى ويوما حنبلي» ويتابع الذهبي بان «تصانيفك تنبيء بذلك فما رأينا الحنابلة براضين بعقيدتك ولا الشافعية» «١٠٩» وفي مكان اخر ينتقده ايضا حيث يقول «وكلامه في السنة مضطرب تراه في وقت سنيا وفي وقت متهجما محرفا للنصوص» «١١٠» واتهم الجوزى ايضا

«١٠٤» المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٨٤ .

«١٠٥» المصدر السابق ، ص ٦٦ .

«١٠٦» نفس المصدر السابق ، ص٢٤٥ .

«١٠٧» ابن رجب ، الذيل ، ج ١ ص ٤١٤ ، ابن العماد ، شذرات ، ج ٤ ص ٣٣١

«١٠٨» نفس المصدر والصفحة .

«١٠٩» الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مخطوطة في البودليان — اوكسفورد ورقة ١٢٠ — ١٢١

«١١٠» نفس المصدر ، ورقة ١٢٣ .

بالتشبيه الا انه يرد على ذلك معلنا ان «من ادعى علينا التشبيه فالله يقابله . مذهبنا مذهب احمد . . . وطريقنا طريق الشافعي . . . ونرفض قول جهم» «١١١» ، وفي مكان اخر يؤكد بقوله «اعتمادي على السنة والقرآن ، واعتقادي اعتقاد فقهاء البلدان ، واورد الصحيح في نقلي» «١١٢» ، ويؤكد كذلك بانه يتبع « طريق السلف » «١١٣» .

ويبدو انه قد ضاق ذرعا من اصحابه الحنابلة وانتقاداتهم الى درجة جعلته يقول : «والله لولا احمد «ابن حنبل» والوزير ابن هبيرة لانتقلت عن المذهب فاني لو كنت حنفيا او شافعيا لحملني القوم على رؤوسهم» «١١٤» . وفي النهاية يبدو انه وجد ان كشفه لارائه المذهبية كان عملا خاطئا لذا نجده يشير الى انه «ينبغي كتم المذاهب ، فانه مايربح مظهرها الا بالمعاداة» «١١٥» .

وعظـــــه :

لقد مارس الوعاظ والمذكرون نشاطا قويا خلال العصور الاسلامية على الاخص في فترة الصراعات المذهبية التي شهدها العراق في الفترة السلجوقية ، لذا فلا غرابة من ان يكون فن الوعظ من اول المعارف التي تلقنها الجوزى ففي سنة ٥٢٠ هـ حمل وهو «صغير السن» حينذاك الى ابي القاسم علي بن يعلي العلوي فلقنه «كلمات من الوعظ» حفظها الجوزى ثم تكلم بها من على المنبر امام جمع غفير من الناس «١١٦» . لقد صحب الجوزى الكثير من الوعاظ وسمع منهم «١١٧» .

«١١١» الجوزى ، رؤوس القوارير ص ١٤ .

«١١٢» نفس المصدر ص ١١ ، صيد ص ١٠١ ، وانظر هجومه على المشبهة والمعطلة في رؤوس القوارير ص ١٣ .

«١١٣» صيد ، ص ٦٣ ، ٨٠ ، ٨٥ — ٨٦ .

«١١٤» سبط ، مرآة ج ٨ ص ٣٢٦ .

«١١٥» المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

«١١٦» المنتظم ، ج ٩ ص ٢٥٩ ، ج ١٠ ص ٣٢ ، ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١١ .

«١١٧» المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٢ ترجمة الزاغوني .

يعتبر ابن الجوزى من وعاظ العامة من اهل بغداد ، وكان يرى «ان انفع ماللعامي مجلس الوعظ ،يرده عن ذنب ويحركه الى توبة» «١١٨» ، ولفترة ليست بالقصيرة اصبح ابن الجوزى من وعاظ السلاطين حيث نجد الخليفة وامه ووزراءه وكبار رجال دولته من بين مستمعيه «١١٩» . بل نجده في كتاباته يقدم النصائح للوعاظ في كيفية وعظهم السلاطين «١٢٠» .

لقد كان اهتمام ابن الجوزى بخطبه الوعظية شديدا حيث اورد لنا في المنتظم تفصيلات عن مجالس وعظه ويوردها احيانا كاول خبر من احداث السنة التي يدونها «١٢١» .

ان جميع خطبه الوعظية كانت قد القيت في بغداد في جامع المنصور وجامع القصر وجامع الرصافة وعند قبر معروف الكرخي وفي محلة باب البصرة ومحلة نهر المعلى ومحلة الحربية ومحلة باب بدر بدار الخلافة «١٢٢» اضافة الى الخطبتين اللتين القاهما في الحرم بمكة اثناء حجه سنة ٥٥٣ هـ «٢٢٣»

لقد وصف ابن الجوزى بانه امام اهل عصره في الوعظ «١٢٤» ووصفت مجالس وعظه ايضا بانها «لم يكن لها نظير ، ولم يسمع بمثلها ، وكانت عظيمة النفع ، يتذكر بها الغافلون ويتعلم منها الجاهلون ،ويتوب فيها المذنبون ، ويسلم فيها المشركون » «١٢٥» . وقد حفظ لنا الرحالة ابن جبير عند زيارته

« ١١٨ » صيد ، ص ٧٨ .

« ١١٩ » المصدر السابق ، ج ١٠ ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤٠٩ .

« ١٢٠ » صيد ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ .

« ١٢١ » المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ — ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ — ٢٧٢ ، ٢٨٣ — ٢٨٥ .

« ١٢٢ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٣٠ — ٣١ .

« ١٢٣ » نفس المصدر ج ١٠ ص ١٨٢ .

« ١٢٤ » ابن العماد ، شذرات ج ٤ ص ٣٣١ .

« ١٢٥ » ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١٠ ، ٤١٣ .

بغداد سنة ٥٨٠ هـ وصفا دقيقا لبعض مجالس الجوزى ومما جاء فيه «فشاهدنا هولا يملأ النفوس انابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة . . . فسبحان من خلقه عبرة لاولي الالباب ، وجعله لتوبة عباده اقوى الاسباب» «١٣٦» .

لقد وقف الجوزى موقف المدافع عن والمنتقد للوعاظ «١٢٧» اذ ينتقد بعض الفقهاء لازدرائهم الوعاظ وعدم حضورهم مجالسهم بحجة انهم قصاص ، وقد رد الجوزى عليهم بأن «القصاص لا يذمون من حيث «تسميتهم قصاص» وانما ذم القصاص لان الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ، ثم غالبهم يخلط فيما يورده ، وربما اعتمد على ماأكثره محال ، فاما اذا كان القصص صدقا ويوجب وعظا فهو ممدوح » «١٢٨» ويواصل نقده لهم قائلا «والالحان التي اخرجوها اليوم » في قراآتهم مشابهة للغناء فهي الى التحريم اقرب منها الى الكراهة ولان الواعظ ينشد بتطريب اشعار المجنون وليلى مع تصفيق بيديه وايقاع برجليه كالسكران ويعيبهم لانشادهم اشعار النوح والبكاء ، ووضعهم احاديث الترغيب مؤكدا ان اكثر كلامهم في موسى والجبل وزليخة ويوسف . ومن جملة انتقاداته ايضا ان منهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع الى زاوية او خرج الى جبل فبقيت عائلته لاشيء لهم وانهم يخلطون في مجالسهم الرجال والنساء كما وانتقدهم لاخذهم المعاشات من الامراء والظلمة واصحاب المكوس والتكسب في البلدان «١٢٩» . وهنا يرى الجوزى ان انحطاط صناعة الوعظ جاءت بسبب الوعاظ انفسهم حيث «كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء . . . . ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء ، فلم يتشاغلوا

« ١٢٦ » ابن جبير ، رحلة ، «ليدن ١٩٠٧ » ص ٢٢٠ — ٢٢٥»، اما عن اعداد من تابوا وقصت شعورهم فانظر : صيد ، ص ٢٦ ، ١٩٢ ، ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١٠

« ١٢٧ » لقد الف ابن الجوزى كتابا دعاه «القصاص والمذكرين » .

«١٢٨ » تلبيس ، ص ١٢٠ .

« ١٢٩ » نفس المصدر ، ص ١٢٠ — ١٢٢ ، صيد ص ٦٦ — ٦٧ .

بالعلم واقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة » «١٣٠» .

مؤلفـــاتـــه :

لقد اوضحنا مسبقا مقدار شغف الجوزى بالعلوم وتحصيلها وضرورة التصنيف فيها فيقول «ان نفع التصانيف اكثر من نفع التعليم بالمشافهة ، لاني اشافه في عمرى عددا من المتعلمين واشافه بتصنيفي خلقا لاتحصى ماخلقو بعد .... فينبغي للعالم ان يتوفر على التصانيف ان وفق للتصنيف المفيد» «١٣١» .

وبالفعل فقد خصص الجوزى جزءا كبيرا من وقته للتصنيف وقد وصف بانه « كان مكثرا من التصانيف . . . وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة . ولولا ذلك لم يجتمع ل هذه المصنفات الكثيرة » «١٣٢» ووصف ايضا بانه كان « يكتب في اليوم اربع كراريس ويرتفع له كل سنة من كتابته مابين خمسين مجلدا الى ستين» «١٣٣» ويرى ابن خلكان ان نشاط ابن الجوزى في التأليف قد بولغ فيه فينقل لنا ماقيل من «انه جمعت الكراريس التي كتبها «ابن الجوزى» وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس ويعقب ابن خلكان على ذلك بقوله «وهذا شيء عظيم لايكاد يقبله العقل» «١٣٤»

بدأ ابن الجوزى تصانيفه وتآليفه وله من العمر ثلاث عشرة سنة ويذكر لنا بأن اولها كان ثبت التصانيف المتعلقة بالقرآن والعلوم «١٣٥» وعلى الرغم من تجربته المبكرة هذه فانه يرى ضرورة «اغتنام التصنيف في وسط العمر لان اوائل العمر زمن الطلب واخره كلال الحواس . وربما خان الفهم والعقل من قدر عمره » ويوضح ذلك اكثر عندما يحدد « زمان الطلب والحفظ

« ١٣٠ » تلبيس ، ص ١٢٠ ، صيد ص ٧٨ .

« ١٣١ » نفس المصدر ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

« ١٣٢ » ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

« ١٣٣ » ابن العماد ، شذرات ، ج ٤ ص ٣٣٠ ، ابن رجب ، الذيل ١ ص ٤١٢ .

« ١٣٤ » ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

« ١٣٥ » ابن رجب ، الذيل ، ج ١ ص ٤١٦ .

والتشاغل الى الاربعين ، ثم يبتدأ بعد الاربعين بالتصانيف والتعليم . هذا اذا كان قد بلغ «الشخص» مايريد من الجمع والحفظ واعين على تحصيل المطالب فاما اذا قلت الالات عنده من الكتب او كان في اول عمره ضعيف الطلب فلم ينل مايريده في هذا الاوان ، اخر التصانيف الى تمام خمسين سنة . ثم ابتـــدأ بعـــد الخمسين في التصنيف والتعليـــم الى رأس الستين ثم يزيد فيما بعد الستين في التعليم ويسمع الحديث والعلم ويعلل التصانيف الى ان يقع مهم الى رأس السبعين ، فاذا جاوز السبعين جعل الغالب عليه ذكر الاخرة والتهيؤ للرحيل » «١٣٦» .

في الواقع ، يعتبر ابن الجوزى من اخصب المؤرخين المسلمين انتاجا فقد ترك لنا مؤلفات عديدة ومتنوعة ، اذ «لم يترك فنا من الفنون الاوله فيه مصنف» «١٣٧» فله في التاريخ والسير «المناقب» والحديث ، والتفسير ، والفقه

« ١٣٦ » صيد ، ص ١٨٦ .

« ١٣٧ » المصدر السابق ، ج ١ ص ٤١٢ — ٤١٤ ، ابن العماد ، شذرات ، ج ٤ ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٨ . لقد ذكر الجوزى عن نفسه بانه صنف «مائة كتاب» لفتة ص ٨٨ ، وروى عنه انه قال « زيادة على ثلثمائة واربعين مصنفا » شذرات ج ٤ ص ٣٣١ ، ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٨ . وقد عدد ابن تيمية مصنفاته وقال « فرأيتها اكثر من الف مصنف . ورأيت بعد ذلك مالم اره » ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١٥ ، وقد ذكر سبط بن الجوزى بان جده الف مائتين وخمسين كتابا ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨٨ ، وقد عني مؤخرا الاستاذ عبد الحميد العلوجي بمؤلفات ابن الجوزى ويعتقد « ان المسرد العام لمؤلفات ابن الجوزى يدور مع اكثر من اربعمائة كتاب استقر منها مخطوطا اكثر من ١٣٩ كتابا في خزائن الكتب الشرقية والغربية المنتشرة في اوربا وامريكا والاتحاد السوفيتي والوطن العربي وايران والهند وتركيا . وضاع اكثر من ٢٣٣ كتابا » العلوجي : مؤلفات ابن الجوزى « بغداد ١٩٦٥ » ص ٥ .

ان احجام هذه المصنفات مختلفة فقد روى انه قال « منها عشرون مجلدا ومنها ماهو كراس واحد » ابن رجب ، الذيل ، ج ١ ص ٤١٣ ، وانظر كذلك لفته الكبد ص ٨٨ حيث يذكر بان احجام كتبه تتراوح بين عشرين مجلدا كالمنتظم والتفسير وبين مجلدين كلقط المنافع في الطب ، ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤٢١ .

والزهد، والاخلاق، والوعظ، واللغة، والادب، والنحو، والجغرافية، والطب وفي نصيحته لابنه اورد الجوزي رأيه في بعض كتبه التي ألفها في ذلك الوقت فيقول: « وعليك بكتاب منهاج المريدين فانه يعلمك السلوك فاجعله جليسك ومعلمك وتلمح كتاب صيد الخاطر فانك تقع بواقعات تصلح لك امر دينك ودنياك، وتحفظ كتاب جنة النظر، فانه يكفي في تلقيح فهمك للفقه. ومتى تشاغلت بكتاب الحدائق اطلعك على جمهور الحديث، واذا التفت الى كتاب الكشف ابان لك مستور مافي الصحيحين من الحديث. ولا تتشاغل بكتب التفاسير التي صنفها الاعاجم، وما ترك المغني وزاد المسير لك حاجة في شيء من التفسير. واما ماجمعته لك من كتب الوعظ فلا حاجة لك بعدها الى زيادة اصلا» «١٣٨».

وقد قيمت معلومات ابن الجوزى من خلال تآليفه «فكان في التفسير من الاعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين. ولديه فقه كاف. واما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية ان ارتجل اجاد، وان روى ابدع» «١٣٩». ومع هذا فان تصانيفه في السنة وطريقته فيها لم تكن مقبولة من قبل البعض كما ذكرنا سابقا وقد ابدى ابن تيمية اعجابه الشديد بتصانيفه في الحديث واخبار الاولين «١٤٠» ومن جهة اخرى فنجد ان الذهبي مع تثمينه لابن الجوزى في تبحره «في العلوم وكثرة اطلاعه وسعة دائرته» ينتقده بانه «لم يكن مبرزا في علم من العلوم وذلك شأن كل من فرق نفسه في بحور العلوم ومع انه كان مبرزا في التفسير والوعظ والتاريخ ومتوسطا في الحديث له اطلاع تام على فنونه واما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين ولا نقد الحفاظ المبرزين فانه كثير الاحتجاج بالاحاديث الضعيفة مع كونه كثير السباق لتلك الاحاديث في الموضوعات» «١٤١»

«١٣٨» لفتة، ص ٨٩.

«١٣٩» ابن رجب، الذيل ج ١ ص ٤١٢.

«١٤٠» نفس المصدر، ج ١ ص ٤١٦، لقد احصى العلوجي مايقرب من عشرين كتابا في المناقب، انظر: العلوجي، مؤلفات ابن الجوزى، ص ٢٨٣ — ٢٨٤.

«١٤١» الذهبي، تاريخ الاسلام، مخطوطة البودليان — اوكسفورد ورقة ١٢٣.

ويذهب الذهبي اكثر في انتقاده للجوزى مخاطبا اياه «فانت لاينبغي ان يطلق عليك اسم الحفظ « حافظ» باعتبار اصطلاحنا بل باعتبار انك ذو حافظة وعلم واسع وتفوق كثير واطلاع عظيم . . . » «١٤٢» .

لقد انتقد ابن الجوزى كذلك بسبب «كثرة اغلاطه في تصانيفه» وسبب هذه الاغلاط هو اكثاره من التصنيف فكان «. . . يصنف الكتاب ولايعتبره بل يشتغل بغيره . وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة . ومع هذا فكان تصنيفه في فنون في العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم» «وكانت اكثر علومه يستفيدها من الكتب ولم يحكم ممارسة اهلها فيها»، «فينقل من التصانيف من غير ان يكون متقنا لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث ، ولهذا نقل عنه انه قال : انا مرتب ، ولست بمصنف» «١٤٣» .

ويبدو ان وصف ابن الجوزى لنفسه بانه مرتب ينسجم مع تقييم ابن تيمية فيما بعد من انه «حسن الترتيب والتبويب قادر على الجمع والكتابة» «١٤٤» ويوضح لنا الجوزى رأيه بالتصنيف قائلا : «ليس المقصود «بالتصنيف» جمع شيء كيف كان . وانما هي اسرار يطلع الله عز وجل من شاء من عباده ويوفقه لكشفها . فيجمع ما فرق او يرتب ماشتت او يشرح مااهمل ، هذا هو التصنيف المفيد » «١٤٥» .

واذا اخذنا بهذا التعريف فالجوزى مصنف ايضا وليس بمرتب فقط . لقد اوردنا مسبقا بعض الدوافع العامة التي كانت تدفع الجوزى للتأليف ويمكن ان نضيف هنا ما قيل من انه كان اذا رأى تصنيفا واعجبه صنف مثله في الحال . وان لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل ، لقوة فهمه وحدة ذهنه . فربما صنف لاجل ذلك او نقيضه بحسب مايتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه » «١٤٦» وعلى سبيل المثال فأنه الف كتابه تلقيح فهوم اهل الاثر

« ١٤٢ » نفس المصدر ، ورقة ١٢٠ — ١٢١ وانظر السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ص ١١١.

« ١٤٣ » ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤٠٣ ، ٤١٤ .

« ١٤٤ » نفس المصدر ، ج ١ص ٤١٦ .

« ١٤٦ » المصدر السابق ، ج ١ ص ٤١٥ .

« ١٤٧ » ابن خلكان ، وفيات ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

ورتبه « على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة» «١٤٧» كما وانه «بنى كتابه في الموضوعات » على كتاب الموضوعات للحسين بن ابراهيم الجوزقاني «ومنه اخذ كثيرا » «١٤٨» ويمكن ان يقال نفس الشيء على كتابه صفة الصفوة وعلاقته بكتاب حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني ومن جهة اخرى نجد ان ابن الجوزى جمع ما اعتقده غلطا في كتاب الاحياء للامام الغزالي وسماه اعلام الاحياء لاغلاط الاحياء «١٤٩» اما عن سبب تأليفه لكتابه ذم الهوى فيقول: «انظر فيما تكلم به الحكماء في العشق واسبابه وادويته وصنفت في ذلك كتابا سميته بذم الهوى» « ١٥٠ » ومن اجل التحذير من مكايد ابليس وليدلل على مصايده الف الجوزى كتابه تلبيس ابليس «١٥١» .

وخلال الفترة التي اصبح فيها الجوزى مقربا من بلاط الخليفة وكبار موظفيه نجد ان دوافع تأليفه تكون احيانا سياسية وتعكس المناسبات فعندما اسقطت الخلافة الفاطمية وذكر اسم الخليفة العباسي على منابر مصر في سنة ٥٦٧هـ الف الجوزى كتابه النصر على مصر وعرضه على الامام المستضيء «١٥٢» كما والف لنفس الخليفة كتابه «المصباح المضيء في خلافة المستضيء » «١٥٣»

واخيراً، فقد كانت لابن الجوزى رغبة باختصاره لكتبه او كتب غيره كاختصاره لكتابه نزهة العيون النواضر في الوجوه والنضائر «١٥٤» واختصاره

« ١٤٨ » الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مخطوطة البودليان — اوكسفورد ورقة ٧٣ .

« ١٤٩ » المنتظم، ج ٩ ص ١٦٩ ، سبط مرآة، مخطوطة المكتبة الوطنية، بباريس، ورقة ٢٦٩ .

« ١٥٠ » صيد ، ص ٨١ .

« ١٥١ » تلبيس ، ص ٤ ، يقول ابن غانم الذي الف ردا على كتاب الجوزى « التلبيس » ودعاه تفليس ابليس «اني اطلعت على كتاب تلبيس ابليس فوجدته بئس الجليس وهو من الكتب التي لا ينبغي ان ينظر فيها » سبط، مرآة، مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ورقة ٢٦٩ .

« ١٥٢ » المنتظم ، ج ١ ص ٢٣٧ .

« ١٥٣ » العلوجي ، ، مؤلفات ابن الجوزى ص ١٦٨ .

« ١٥٤ » ابن رجب ، الذيل ج ١ ص ٤١٦ .

لكتابه المنتظم والذي سماه بشذور العقود في تاريخ العهود «١٥٥» .

تدوينـــه للتاريـــخ :

لقد كانت العوامل الدينية اولى الاسباب لنشوء علم تدوين التاريخ في الاسلام لذلك فاننا نجد معظم من عنوا بالتدوين التاريخي من المسلمين حتى منتصف القرن الرابع الهجري كانوا علماء دين او محدثين، ولكن منذ منتصف الرابع الهجري نجد «ان تدوين التاريخ السياسي اصبح في الغالب مهمة الموظفين والمقربين من البلاط. وقد اثر هذا التغيير في الشكل والموضوع والروح على السواء» «١٥٦» . ومن جملة هذه التغييرات هو ان التاريخ بعد «ان كان يتخذ المسوغ الديني سبباً لوجوده، اخذ حينئذ يتذرع بمسوغ اخر وهو القيمة الاخلاقية لدراسته اي انه يخلد ذكر الاعمال الصالحة والسيئة لتكون عبرة للاجيال المقبلة »«١٥٧» .

ونجد ان ابن الجوزي في كتاباته التاريخية يجمع بين المسوغ الديني والمسوغ الاخلاقي كسبب للعناية بالتاريخ، فيجعل للسير والتواريخ فوائد كثيرة اهمها فائدتان :

«احداهما انه ان ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله افادت حسن التدبير واستعمال الحزم او «ان ذكرت» سيرة مفرط ووصفت عاقبته افادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط ويعتبر المتذكر ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول .

والثانية ان يطلع بذلك على عجائب الامور وتقلبات الزمن وتصاريف القدر وسماع الاخبار....وقال ايضاً في اول شذور العقود في تاريخ العهود الذي اختصره «من المنتظم» ان التواريخ وذكر السير راحة القلب وجلاء الهم وتنبيه للعقل، فانه ان ذكرت عجائب المخلوقات دلت على عظمة الصانع

« ١٥٥ » نفس المصدر ، ج ١ ص ٤١٨ ، والعلوجي ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .

« ١٥٦ » جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، ص ١٥٨ .

« ١٥٧ » نفس المصدر ، ص ١٥٩ .

وان شرحت سيرة حازم علمت حسن التدبير وان قصت قصة مفرط من اهمال الحزم وان وصفت احوال ظريف اوجبت التعجب من والتنزه فيما يشبه الاسمار» «١٥٨» .

ان الاهداف التي يضعها ابن الجوزي للتاريخ تجمع بين نظرة الم الموظفين والمقربين من البلاط وبين نظرة المحدثين ورجال الدين، فابن اذن يمثل مرحلة جديدة عاد فيها المحدثون ورجال الدين الى حظيرة في التاريخ السياسي، لذلك فهو في كتابه المنتظم يعنى بتدوين الاحدا الطابع السياسي والديني خصوصاً التراجم .

ان هذا التغيير في محتويات واهداف التاريخ الذي نجده يع التبدل الذي اصاب ثقافة العصر الذي عاشه ابن الجوزي. في الحقيقة ا التبدل يمكن ارجاعها الى ما قبل عصر الجوزي وبصورة دقيقة يمكن الى بدء دخول السلاجقة العراق اذ رافقهم في ذلك انتعاش مبادىء وانتشار دور الثقافة السنية كالمساجد المختلفة ومدرسة ابي حنيفةوالمدارس والمدرسة التاجية...«١٥٩». لقد كانت هذه المراكز الثقافية تخرج الم المثقفين ثقافة دينية — دنيوية والمؤهلين لاملاء الكثير من المناصب الرسم الرسمية، ومن بين هؤلاء برز معظم مؤرخي العراق في العصر السلجوقي الى ذلك ان قوة الخلافة العباسية — ظاهرياً على الاقل ومن ثم الصرا جرى بين الخليفة والسلطان السلجوقي والذي ادى الى استقلال العر السلاجقة كان له دوره في انتعاش تدوين التاريخ السياسي للعراق مؤرخين ذوي حديث وفقه امثال الخطيب البغدادي، ابي علي ابن ابي شجاع الذهلي، ابي الوفاء بن عقيل، ابي الحسن الزاغوني، وابي الفرج بن ابن الجداد...

« ١٥٨ » السخاوى ، الاعلان ص ٤٤ .

Makdisi, "Muslim istitutions of learning in eleventh century Baghdad." BSOAS, XIV, I (1961) .

لقد ترعرع ابن الجوزي في ذلك الجو الثقافي بل وتتلمذ على معظم اولئك ورخين ذوي الحديث والفقه.وتمشياً مع الاهداف التي وضعها الجوزي ريخ فانه ينتقد مقاصد المؤرخين الذين سبقوه اذ يقول ان منهم «من يقتصر ى ذكر الابتداء ومنهم من يقتصر على ذكر الملوك والخلفاء،واهل الاثر ثرون ذكر العلماء،والزهاد يحبون احاديث الصلحاء،وارباب الاداب يلون الى اهل العربية والشعراء،ومعلوم ان الكل مطلوب والمحذوف من ك مرغوب» «١٦٠» .

اذن فالجوزي يريد ان يجعل من كتابه جامعاً غير مقتصر على فترة منية او جماعة معينين بحيث يجد فيه الكل ضالتهم .

يعتبر المنتظم «١٦١»،بصورة عامة من الكتب التي تبحث في التاريخ عام مع تركيز شديد على تاريخ العراق ويشمل الكتاب بطبعته الحالية «صدر منه جد الان الاجزاء من خمسة الى عشرة وطبع في حيدر آباد ـ الدكن» احداث سنوات ٢٥٧ ـ ٥٧٤هـ ولذا فالاجزاء الغير منشورة تحتوي فترة ما قبل لاسلام والى احداث سنة ٢٥٧هـ.واستناداً الى ما جاء في مقدمة كتاب شذور لعقود الذي هو ملخص للمنتظم نستطيع ان نقول ان محتويات الاجزاء الغير نشورة تبدأ بذكر شيء عن اول المخلوقات ثم معلومات عن الارض والمعادن والاقاليم والجبال وعجائب الدنيا والجن والسماء والجنة والنار،ومن المحتمل جداً ان يكون الجوزي قد تأثراو نقل من مروج الذهب للمسعودي «١٦٢».

«١٦٠» السخاوى ، الاعلان ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

«١٦١» لقد ورد عنوان الكتاب بالصور المختلفة التالية : المنتظم في التاريخ ، المنتظم في تواريخ الملوك والامم ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، المنتظم تواريخ الامم من العرب والعجم ، راجع اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٣ ص ٤٨٩ ، سبط ، مرآة ج ٤٨٤ ، ابن رجب ، الذيل ، ج ١ ص ٤١٨ ، طاش كوبرى زاده ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٧ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ص١٦٦ ،ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٢٨ .

«١٦٢» روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ص ١٥٣ .

وبعد ذلك يسلسل لنا الجوزي التاريخ حسب تتابع الانبياء من آدم الى ش
وادريس ونوح وابراهيم...وموسى وعيسى ثم يذكر فصلا قصيراً«عن ملو
الفرس،واشارة مقتضبة عن وجود الامم الاخرى غير الاسلامية ثم
الرسول الاولى ثم هجرته»«١٦٣» ثم يتابع ذكر الاحداث حسب التقويم الهجر

ويعتبر المنتظم من حيث تنظيم المادة التاريخية من الكتب الحولية ا
تدون فيها الاحداث حسب التعاقب السنوي لها.يضاف الى ذلك انه يبتد
عن نظام الحوليات الذي كان سائداً قبله بفصله التام بين «الحوادث» و
الوفيات التي حدثت في نفس العام.ان هذا الفصل لم يكن بالشيء الجديد تماما
اذ اننا نجد جذوره في تاريخ ابي طاهر طيفور «ت ٢٨٠هـ»حيث انه«يو
في تاريخ بغداد اخبار وفيات مرتبة حسب السنين،يذكرها في نهاية حكم ك
خليفة... غير ان البحث الثابت للتراجم بهذا الشكل الخاص يبدو وكأنه
مميزات ابن الجوزي» «١٦٤» .

يبدأ الجوزي عادة اخبار كل سنة بقوله«ثم دخلت سنة...»ويتبعها قائلا
«فمن الحوادث فيها...»ثم يستمر بسرده للحوادث،واحياناً يبتدي الخ
بقوله:«وفي هذه السنة....»او «وفيها»او يبتدي الخبر بذكر المصدر الذي استق
منه معلوماته مثلا انبأنا او اخبرنا.واحياناً اخرى يبتدي بذكر الشهر او اليو
الذي حدث فيه الحادث مثلا وفي ربيع الاخر...او وفي يوم السبت الثالث
والعشرين من جمادي.....

ايماناً منه بان دراسة التاريخ تشحذ صوارم العقول وان من يدرسه يج
فيه راحة للقلب وجلاء للهم وتعرفاً على عجائب الامور،نجد ان الجوزي
يدون من الاحداث ما اعتقده مهما ومحققاً لنظرته في التاريخ،ولهذا فاخبار
تشمل احداثاً عن انقضاض النجوم،ظهور الكواكب المذنبة الخسوف والكسوف
الزلازل،التبدلات الجوية المفاجئة ،الفيضانات،المجاعات والاوبئة،حالة

«١٦٣» الجوزي ، شذور العقود ، مخطوطة – كمبردج ورقة ١ ، روزنثال،علم التاري
، ص ١٩٩ ، ص ٥١٤ .

«١٦٤» روزنثال ، علم التاريخ ، ص ١٩٨ .

الاسعار في الاسواق. فرض والغاء انواع الضرائب، النزاعات المذهبية، تعيينات الموظفين وعزلهم، اسماء قادة الحج، تولي الخلفاء الخلافة، التشهير، بامرأة تزوجت من رجلين في ان واحد، انتحار بعض الاشخاص، الولادات الغريبة، ثم ينهي احداث السنة بذكر الوفيات. وفي السنوات الاخيرة من المنتظم ٥٦١ـ ٥٧٤ هـ وعلى الاخص السنوات الخمس الاخيرة نجد ان الجوزي يتحدث كثيراً عن اخباره هو وخصوصاً مجالس وعظه وعلاقته بالسلطة.

على الرغم من اعتبارنا المنتظم من التواريخ العالمية الا انه في الواقع لم يعر اهتماماً بتواريخ الشعوب الاخرى كالاغريق او الهنود او الصينيين، والاكثر من ذلك انه حتى في فترته المعاصرة نجده لا يورد شيئاً عن تاريخ الاقطار المجاورة للعراق اللهم الا الشيء النزر والذي له اثر على العراق مثلا الفتك بالباطنية بدمشق سنة ٥٢٣هـ، او وصول الافرنج الى باب دمشق، او اخبار قتل الخليفة الفاطمي بمصر «١٦٥» او حروب السلاجقة وبعض احداثهم في مناطق ايران.

ان الاخبار التي يوردها الجوزي في المنتظم تختلف في الطول والقصر، فبينما يكون بعضها اقل من سطر واحد نجد بعضها الاخر يستغرق بضع صفحات. اننا لا نستطيع ان نبين السبب الذي دفع الجوزي لاطالة الخبر مرة واختصاره اخرى. الا اننا نستطيع ان نقول بانه لابد ان يكون لكثرة او قلة المعلومات المتوفرة لديه عن الخبر الواحد دخل في ذلك وقد تلعب الاهداف او الفوائد التي وضعها للتاريخ دوراً في ذلك. كما وان مجموع عدد الحوادث التي اوردها للسنين كان قليلا مرة وكثيراً اخرى. ان اختصاره للاحداث وترتيبه لها حسب السنة ثم الشهر واحياناً اليوم جعل ترتيب الكتاب اشبه بالمذكرات اليومية .

ان هذه الطريقة ليست من مبتكرات الجوزي بل اننا نجدها عند الاجيال السابقة من المؤرخين خصوصاً اولئك الذين ينتمون لطبقة كتاب الدواوين،

«١٦٥» المنتظم، ج ١٠، ص ١٣، ١٥ .

ومن المحتمل انيكون النموذج المباشر الذي تأثر به الجوزي هو كتاب التاريخ لابي علي بن البناء «ت٤٧١ هـ» «١٦٦» .

لقد اوردنا مسبقاً بان الجوزي يقسم احداث السنة الواحدة الى قسمين رئيسيين: الاول «للاحداث» والثاني للوفيات . ويبدأ القسم الثاني عادة بعبارة «ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر» ثم يسلسل الوفيات حسب الحروف الهجائية. ان العناية بالتراجم لم تكن بالشيء الجديد فالتاريخ الاسلامي نشأ بسبب العناية بسيرة الرسول «ص» ومن ثم سيرة شخصيات الامة من الخلفاء والصحابة وتابعيهم. وقد اكد الجوزي بان في ذكر السير راحة للقلب وجلاء للهم وتنبيهاً للعقل. اذن فالمثل الاعلى في الاخلاق والسياسة هو في سير الاولين والصلحاء من رجال الامة .

لقد ترجم الجوزي في المنتظم لمختلف المشاهير من الناس بغض النظر عن صلاحهم او عدمه بل اننا نجده يترجم لمن وصفوا بالالحاد والزندقة كاحمد ابن يحيى الراوندي والذي خصص له الجوزي عدداً من الصفحات مبرراً ذلك بقول «وانما ذكرته ليعرف قدر كفره فانه معتمد الملاحدة والزنادقة» «١٦٧» .

تبدأ تراجمه عادة بذكر الاسم الكامل للشخص وفي حالات خاصة كالاشراف من الناس يذكر الجوزي نسب الشخص كاملا الى درجة يغلب على جميع المعلومات الاخرى «١٦٨» ، وبعد ذلك يذكر مسقط رأسه وهنا تأتي بعض المعلومات الجغرافية لتحديد مكان القرية التي ولد فيها «١٦٩» وعندما يترجم للعلماء فانه يهتم بذكر شيوخهم واحياناً يفصل اختصاص كل شيخ ممن درسوا المترجم له، كما ويذكر الاماكن التي زارها الشخص للدراسة

« ١٦٦ » لقد نشر الدكتور جورج مقدسي الجزء الصغير والمتبقي من هذا الكتاب في :
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, London , 1956-1957

« ١٦٧ » المنتظم ، ج ٦ ص ٩٩ — ١٠٥ .

« ١٦٨ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ١٧٦ ، ج ١٠ ص ١٣ — ١٤ ، ٢٨ ، ٩٣ .

« ١٦٩ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ٢٠٠ ، ٢٣٩ ، ٢٦٢ ، ج ١٠ ص ٢٣ ، ٥٤ ، ٩٤ .

وهنا توجه عناية خاصة لتثبيت زيارته لبغداد وتاريخها «١٧٠»،وشيء عن حلقات تدريسه ومكانها،وفي احوال اخرى يورد بعض المناظرات الكلامية والادبية التي جرت للمتوفى «١٧١» ثم ما الف من كتب «١٧٢».وقد تطول ترجمة الشخص بذكر نص رسالة كانت قد وجهت اليه من شخص آخر«١٧٣» او يورد نص خطبة لغوية او وعظية كان قد القاها الشخص في احد مساجد بغداد «١٧٤»

لم يكن ايراد الشعر في تراجمه مقصوراً على تراجم الشعراء فحسب بل كان يورده كتعبير عن ثقافة وبراعة الشخص الادبية،وقد سجل لنا الجوزي نماذج عديدة مما انشد المتوفى لابن الجوزي من شعر «١٧٥»،او ماروى عن المتوفى من شعر «١٧٦»،او ما قيل من شعر في المتوفى كرثاء «١٧٧» ،واحياناً قد لا تتجاوز ترجمة الشخص،الستة اسطر بينما يورد له قصيدة عدتها اكثر من خمسين بيتاً «١٧٨» وفي كثير من الاحيان يورد الجوزي معلومات عما قام به الشخص من اعمال بر وخير،ثم مقدار ما خلف من مال «١٧٩» ، وفي نهاية الترجمة يورد تاريخ الوفاة بالشهر او اليوم واحياناً كيفيتها خصوصاً اذا كانت عجيبة كالقتل مثلا «١٨٠» ثم مكان دفنه . وقد يورد ايضاً بعض القصص او الاحلام التي رئي فيها الشخص المتوفي تعكس كراماته«١٨١» .

« ١٧٠ » نفس المصدر ج ١٠ ص ١٩ ، ٣٣ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ٩٤ .

« ١٧١ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٥٣، ٩٩ .

« ١٧٢ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢١٢ .

« ١٧٣ » نفس المصدر ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ — ٢١٢ .

« ١٧٤ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ١٧٣ .

« ١٧٥ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢١ — ٢٢ .

« ١٧٦ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٣٣ ، ٣٨ ، ٦٣ — ٦٤ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٢٧٦ — ٢٧٧ .

« ١٧٧ » نفس المصدر ، ج ٨ ص ٣٠١ — ٣٠٣ ، ج ١٠ ص ٢١٧ .

« ١٧٨ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ١٩٠ — ١٩٣ .

« ١٧٩ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ٢١٩ .

« ١٨٠ » نفس المصدر ج ٩ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

وغالباً ما يشير الجوزي في تراجمه الى العلاقات الخاصة التي تربط بالمترجم لهم كأن سمع منهم حديثاً او كتاباً معيناً او مقطوعة شعرية او اجاز لهم المتوفى بعض مسموعاته او حضر الجوزي مجلس وعظه او كان يزور وهو صبي «١٨٢»، او تتلمذا سوية او حضر مجلس وعظ الجوزي او كانت ل مكاتبات معه «١٨٣» كما وانه يهتم بايراد رأي مشايخه — خصوصاً رأي شيخه ابن ناصر — في المترجم لهم، ولو انه احياناً لا يوافقه فيه «١٨٤» على اية حال فان الجوزي في كثير من الاحوال لم يستطع التحرر من تعصبه المذهبي وميله الشخصي في تقييمه للاشخاص او في مناقشته لارائهم «١٨٥» وربما يكمن وراء هذا السبب في قصر بعض تراجمه وطول البعض الاخر «١٨٦» الا ان الميزة الواضحة ان تراجم بعض الكبار كالوزراء او استاذ دار الخليفة او صاحب المخزن تكون غالباً قصيرة «١٨٧»، اما تراجم الخلفاء فتذكر عادة في اول ولاية الخليفة للحكم وعادة يعنونها بقوله «باب ذكر خلافة....» اما في قسم الوفيات فانه يذكر عادة موجزاً عن حياة الخليفة يتناول فيه اسم الخليفة ومدة خلافته وعمره وشيئاً يسيراً جداً من سيرته .

مصـــادره :

١— ان ابن الجوزي كغيره من المؤرخين المسلمين يذكر لنا تارة بوضوح واخرى بغير وضوح مصادره التي اعتمد عليها، الا انه كثيراً ما ينقل دون

« ١٨١ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٤٠ .

« ١٨٢ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٨٠ ، ٢١٢ .

« ١٨٣ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨—٢٤٩ ، ٢٧٦ .

« ١٨٤ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ١٩ ، ٢٨ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٩٨ .

« ١٨٥ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٨٠ ، ٢٢٤ — ٢٢٥ وانظر كذلك ابن الاثير . ج ١٠ ص ٤٥٠ ، ج ١١ ص ٢١٩ .

« ١٨٦ » المنتظم ج ٦ ص ١٦٨ ، ج ٨ ص ٢٥٢ ، ج ١٠ ص ٦٤ ، ٩٢ ، ٢١٩ ، ٢٦١ —

« ١٨٧ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ٥١ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ج ١٠ ص ٩— ١٠ ، ١٤ ، ٢٨ .

ان يذكر اي اشارة لمصدره ومما لاشك فيه انه اعتمد في تدوينه للتاريخ الجاهلي وللقرون الثلاثة الاولى للهجرة على الطبرى بالدرجة الاولى .

ان اعتماده على الطبرى لم يمنعه من الرجوع الى مصادر اخرى خصوصاً تاريخ العقود الاخيرة من القرن الثالث الهجري.ففي سنة ٢٩٦هـ ينقل فيها من كتاب ثابت بن سنان حيث يقول «ذكر ثابت بن سنان في تاريخه» «١٨٨» وكذلك في احداث سنة ٢٩٧هـ اذ يورد «قال ثابت بن سنان المؤرخ» «١٨٩» فالجوزي كما يبدو يعتمد على كتاب التاريخ لثابت بن سنان والذي الفه كذيل لتاريخ الطبرى .

٢ـ عندما يؤرخ الجوزي حركة القرامطة يورد معلومات مفصلة عنهم. وهناك تشابه كبير بين ما يورده هو ما يورده الطبري «١٩٠» ولكن بعض الاخبار التي يوردها الجوزي، خصوصاً تلك التي تتعلق بافكارهم وآرائهم المذهبية والسياسية ليس لها مشابه عند الطبري «١٩١»، ومن المحتمل جداً ان يكون الجوزي قد اعتمد على التنوخي او الصولي في معلوماته الاضافية.ففي نص مطول يسوقه الجوزي عن القرامطة يورد فيه مرتين بأن مصدره التنوخي «١٩٢» ولما كان الجوزي يذكر احياناً الصولي كمصدر له في موضوع اخر غير القرامطة «١٩٣» فمن المحتمل انه كان قد اطلع على بعض آراء الصولي في حركة القرامطة خصوصاً وان الاخير كان قد الف كتابا حول تاريخ القرامطة .

اما عن اخبار القرامطة في هجر فان كلا من الجوزي ومسكويه يذكران

« ١٨٨ » نفس المصدر ج ٦ ص ٨٠ — ٨١ .

« ١٨٩ » نفس المصدر ، ج ٦ ص ٨٩ .

« ١٩٠ » الطبرى ج ٣ القسم الرابع ص ٢١٢٤ — ٢١٣٠ ، ٢١٨٨ ، ٢١٩٢ ، ٢٢٥٥ — ٢٢٥٦ ، ٢٢٦٩ — ٢٢٧٣ . المنتظم ، ج ٥ ص ١١٠ — ١١٣ ، ج ٦ ص ١٨ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٥٩ — ٦٠ .

« ١٩١ » المنتظم ، ج ٥ ص ١١٠ — ١١١ ، ١١٣ — ١١٩ ، ج ٦ ص ١٢١ .

« ١٩٢ » نفس المصدر ، ج ٦ ص ٢٢٤ ، ٣٦١ .

« ١٩٣ » نفس المصدر ، ج ٥ ص ٦٦ ، ج ٦ ص ٢٩٦ .

تقريباً نفس الشيء ولكن الجوزي يبدو اكثر توسعاً في بعض الاحيان وتوسعه مصبوغ بوعظ ديني «١٩٤» .

٣— ومن بين المصادر الاخرى التي ذكرها الجوزي هو كتاب هلال الصابي الذي ما زال مفقوداً عدا ذلك الجزء الصغير الذي يتناول حوادث السنوات ٣٨٩ — ٣٩٣ والذي نشره H. F. Amedros في نهاية ذيل تجارب الامم لابي شجاع الروذراوري. وفي بعض الاحيان يورد الجوزي قائلا: «وروى هلال بن المحسن»«١٩٥» وفي احيان اخرى نجد ان الجوزي ينقل مرة حرفياً ومرة بتغيير جزئي من كتاب هلال الا انه لا يذكر اي اشارة الى انه اخذ منه «١٩٦» .ان الاختلاف الجزئي الذي نجده في نصوص ابن الجوزي ربما مرجعه الى انه كان ينقل من مرجع اخر كان قد اخذ بدوره من هلال ومن المحتمل ان يكون من ذيل تجارب الامم الذي الفه الروذراوري «١٩٧» .

٤— لقد اعتمد ابن الجوزي كثيراً على كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي «ت ٤٦٣ هـ» في الحصول على المعلومات لتراجم الاشخاص كما وانه اورد الكثير من الاخبار التي كان قد رواها الخطيب لابي منصور القزاز الذي نقلها بدوره الى الجوزي «١٩٨» .

٥— كما واعتمد الجوزي على تاريخ ابي علي الحسن بن احمد بن البناء «ت ٤٧١»هـ»حيث يورد كثيراً عبارة «وقرأت بخط ابي‌علي بن البناء»«١٩٩»

«١٩٤» نفس المصدر ، ج ٦ ص ١٢١ ، مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ص ٣٤ .

«١٩٥» المنتظم ، ج ٧ ص ٢٠ .

«١٩٦» ذيل تجارب الامم ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٧٢ ، ٣٩٢ ، — ٣٩٧ ، وانظر مايقابل ذلك من المنتظم ج ٧ ص ٢٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ .

«١٩٧» المنتظم ، ج ٦ ص ٣٨٤ ، ٣٩٥ ، ج ٧ ص ١٠٥ ، ٢٠٢ — ٢٠٣ الروذراوري ، ذيل تجارب الامم ، ص ١٢ ، ٣٠٥ ، مسكويه ، تجارب الامم ج ٢ ص ١٦٧ ، ١٧٧ .

«١٩٨» المنتظم ، ج ٨ ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٨٨ .

«١٩٩» المنتظم ، ج ٨ ص ٢٤٨ ، ٣١٦ ، ٣١٩ .

لقد وصف بانه صنف في كل فن. «٢٠٠» لذا فنحن لا نستطيع ان نحدد من اي كتاب من كتب البناء استقى الجوزي معلوماته الا انه من المحتمل جداً انه اعتمد على كتاب البناء في التاريخ الذي قد ضاع معظمه الا ذلك الجزء اليسير الذي نشره الدكتور جورج مقدسي .

٦ــ ومن المصادر الاخرى التي يرد ذكرها في المنتظم ما الفه ابو الفضل أحمد ابن الحسن بن خيرون «ت ٤٨٨هـ» حيث يرد كمصدر لمعلومات الجوزي في بعض التراجم،ومن المحتمل بان الجوزي اعتمد على كتاب ابن خيرون المعروف بـ «وفيات الشيوخ» «٢٠١» .

٧ــ ويرجع ابن الجوزي في المنتظم الى هبة الله بن المبارك بن يوسف السقطي «ت ٥٠٩هـ» كمصدر لمعلوماته فيذكره قائلا: «وذكر هبة الله بن المبارك... في تاريخه» وكذلك يذكره قائلا « ومن العجائب ما ذكره هبة الله» «٢٠٢».

٨ــ يعتبر ابو الوفا علي بن عقيل «ت٥١٣هـ» من مصادر ابن الجوزي المهمة فقد اعتمد كثيراً على مؤلفاته وخصوصاً على كتابه الفنون اذ يذكر سبط بن الجوزي قائلا«واختصر منه جدى عشر مجلدات فرقها في تصانيفه»«٢٠٣» لقد نقل الجوزي معلومات كثيرة تخص احداث السنوات اضافة الى اخبار واقوال تخص الوفيات وكثيراً ما يشير الجوزي الى ذلك قائلا«ونقلت من خط ابي الوفاء بن عقيل»او «ورأيت بخط ابي الوفاء» او« قرأت بخط ابي الوفاء» واحياناً اخرى «قال ابن عقيل » «٢٠٤» .

٩ــ كما ويرجع ابن الجوزى الى محمد بن عبد الملك الهمذاني «ت ٥٢١ هـ»

« ٢٠٠ » نفس المصدر ، ج ٨ ص ٣١٩ .
« ٢٠١ » المنتظم ج ، ٩ ص ٨٧ ، ١٣٩ ، ج ٨ ص ٢٦٥ .
« ٢٠٢ » نفس المصدر ، ج ٨ ص ٢٥٢ ، ج ٩ ص ٧٢ ، ١٨٣ .
« ٢٠٣ » سبط ، مرآة ، ج ٨ ص ٨٤ .
« ٢٠٤ » المصدر السابق ، ج ٦ ص ١١٠ ، ١٠٥ ، ج ٩ ص ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٨٩ . ٩٧ ، ١٨٤، ١٩٧ .

كمصدر له فيذكره بوضوح قائلا«وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني» او «قال محمد بن الفضل الهمذاني» «٢٠٥» الا انه لا يذكر اسم الكتاب الذى رجع له اذ اننا نعلم بان الهمذاني كان قد الف عدة كتب منها ذيل على تاريخ الطبري وذيل اخر على كتاب ابن شجاع الروزراورى وكتاب في التاريخ ايضا دعاه بعنوان السير وغيرها من الكتب«٢٠٦» .

١٠ — لقد استند ابن الجوزى كثيرا على شيخه ابي الحسن علي بن عبيد الزاغوني «ت ٥٢٧ هـ» ، سواء في ايراده للاحداث ام في تراجمه للمشاهير، وعادة يشير اليه بقوله «ذكر هذا شيخنا ابو الحسن بن الزاغوني في تاريخه » او «قال شيخنا ابن الزاغوني» «٢٠٧» .

١١ — ومن مشاهير شيوخه الذين اوردهم كمصادر لمعلوماته هو شيخه محمد ابن ناصر «ت ٥٥٠ هـ» وعلى سبيل المثال ينقل عنه بعض احداث بغداد في سنوات ٤٨٧، ٥١١ ، ٥٢٤ ، ٥٣٣ هـ . ومن الغريب ان ماينقله عنه هي حوادث الزلازل التي حدثت خلال هذه السنوات «٢٠٨» وكذلك شيخه ابو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز «ت ٥٣٥هـ » اذ قد روي عنه جملة من احداث بغداد اضافة الى اخبار عن تراجم كبار كبار الشخصيات «٢٠٩» ، وكذلك بالنسبة للشيخ محمد بن عبد الله ابي عبد الله الحراني «ت ٥٦٠ هـ» اذ اورد اسمه كمصدر لاحداث العراق «٢١٠» ثم ابي الفرج صدقة بن الحسين الحداد « ت٥٧٣ هـ» فقد ذكره الجوزى كثيرا في منتظمه في امور تخص احداث العراق وكذلك الوفيات ويرجع اليه عادة بقوله « وجدت بخط ابي الفرج بن الحسين الحداد» واحيانا اخرى يقول «وحكى ابو الفرج . . . » «٢١١» .

« ٢٠٥ » نفس المصدر ، ج ٥ ص ١٣٦ ، ج ٨ ص٢٥١ ، ٣٣١ .
« ٢٠٦ » ابن شاكر ، عيون التواريخ ، مخطوطة ، كمبردج ، ورقة ٧٠ .
« ٢٠٧ » المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ، ج ١٠ ص ٩ ، ص٢٧ ، ص٣٠ .
« ٢٠٨ » المنتظم ، ج ٩ ص ٠— — ٨١ ، ١٩٣ ، ج ١٠ ص ١٤ ، ٧٨ .
« ٢٠٩ » نفس المصدر ، ج ٦ ص ٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٠ ، ج ٩ ص ١٧١ ، ج ١٠ ص ٦٢ .
« ٢١٠ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ، ٢٥٦ ، ج ١٠ ص ٢١٢ — ٢١٣ .
« ٢١١ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٦١ ، ٢١٠ ، ٢٧٦ — ٢٧٨ .

ومن مصادره ايضا شجاع بن ابي شجاع فارس بن الحسن الذهلي «ت ٥٠٧ هـ» اذ يعتمد عليه الجوزى بقوله «قرأت بخط ابي شجاع الذهلي » «٢١٢» .

١٢— واعتمد الجوزى في بعض وفياته على عبد الكريم بن محمد السمعاني «ت ٥٦٣» وخصوصا على كتابه الانساب . وفي انتقاد الذهبي لابن الجوزى يخاطبه قائلا «وعامة ما في كتابك المنتظم من سنة نيف وستين واربعمائة الى وقتنا هذا « ٥٥٠ هـ » من التراجم انما اخذته من ذيل «ابن السمعاني اى كتاب الانساب» «٢١٣» .

١٣— ومن الشيوخ الذين وردت اسماؤهم كمصادر لمعلومات الجوزى هم عبد الوهاب بن ابي منصور الامين عن ابيه ، وابو المكارم بن رميضاء السقلاطوني ، والقاضي ابو يعلي الفراء ، وابو الحسن بن عساكر ، وطلحة بن المظفر العلثي «٢١٤» وعندما يرجع ابن الجوزى الى أحد هؤلاء نجده يذكر العبارات الاتية «قالى لي» او«وحدثني»او«حكى لي» او«انبأنا» واحيانا يعود اليهم بصفة الجمع «حدثنا . . . اشياخنا»«٢١٥» مما يشير الى ان المعلومات كانت قد وصلته شفهيا .

١٤— وعندما قويت علاقة ابن الجوزى بالسلطة اصبح على صلة وثيقة بالاحداث بل ان اخباره كانت مستقاة من كبار رجال البلاط فعلى سبيل المثال نجده يورد اسم الوزير يحيى بن هبيرة كمصدر لمعلوماته ويشير الى ذلك قائلا «وحدثنا الوزير . . .» «٢١٦» وأحيانا يكون مصدره الوزير او احد اقاربه «٢١٧» او خياط المخزن او غيره

« ٢١٢ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ١٦٤ ، ١٧٦ .

«٢١٣ » الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مخطوطة البودليان — اوكسفورد . ورقة ١٢٠ — ١٢١ .

« ٢١٤ » المنتظم ، ج ٩ ص ٧٦ ، ج ١٠ ص ٤ ، ٢٧٦ ، ٢٦٥ .

« ٢١٥ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ٩٥ ، ٩٦ .

« ٢١٦ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٦١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٤ .

« ٢١٧ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢١٠ .

من الموظفين «٢١٨» اضافة الى هذه المصادر العليا فاننا نجد ينتقي اخباره من عامة الناس او المجهولين فنجده مثلا يقول بعض الجند»او«وحدثني بعض الاتراك وكان محبوسا» او «وتحد جيراننا بباب المرتب» «٢١٩» ، وقد يحصل على الاخبار م اصدقائه او من المسافرين الى بغداد وخصوصا الحجاج الا انه الاسماء كأن يقول «بلغني» ، «قيل»، «ذكر»، «حدثني بعض «ثم وصل الخبر من همدان»، «ثم وصل الخبر من اصفهان»، كتب من . . . » «٢٢٠» .

١٥— لقد اورد ابن الجوزى الكثير من الوثائق الرسمية بنصوصها لمعلوماته فهو يذكر لنا نص الكتاب الذي قرىء على الناس بـ الثائر يعقوب بن الليث الصفار «٢٢١» ويورد كذلك نص العه قاضي بغداد ايام المطيع «٢٢٢» ونص توقيع بتقليد المظالم «٣ واخر بنيابة الوزارة «٢٢٤» وكذلك نص كتاب الخليفة الى استاذ الدار «٢٢٥» . بل نجده يسجل لنا ماشاهده هو يحوي ابياتاً شعرية كان قد شاهدها الجوزى مكتوبة على ابو علي بن افلح الكاتب «٢٢٦» .

« ٢١٨ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢٣٣ .

« ٢١٩ » نفس المصدر ج ١٠ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٦٦ .

« ٢٢٠ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٥ ، ٢٤٤ ، ج ٩ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ .

« ٢٢١ » نفس المصدر ، ج ٥ ص٣٣ .

« ٢٢٢ » نفس المصدر ، ج ٧ ص ٦٤ — ٦٥ .

« ٢٢٣ » نفس المصدر ج ٩ ص ٢٦ .

« ٢٢٤ » نفس المصدر ، ج ٩ ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

« ٢٢٥ » نفس المصدر ج ، ١٠ ص ٤٦ ، ٤٧ — ٤٨ ، ٥١ ، ج ٩ ص ٤٧ ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

« ٢٢٦ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٨١ ، ٨٣ .

١٦ــ واخيرا، فان ابن الجوزى في بعض الاحيان ينقل احداثا تاريخية من مصادر الا انه لا يورد اسمها بل يشير بما يفهم من انه شاهد الحدث نفسه عندما كان صغيرا ، الا ان دقة الوصف تثبت بانه ينقل من مصدر كما حدث في وصفه احداث سنة «٥٢١هـ» وكذلك ٥٢٩ وقد وصف الجوزى نفسه بانه كان صبيا في ذلك الوقت «٢٢٧» لذا يمكن القول بانه على الاقل منذ سنة ٥٣٠ هـ فما فوق أصبح ابن الجوزى يعتمد في وصفه لبعض الاحداث او ذكره بعض الاخبار على نفسه اضافة الى المصادر التي ذكرناها سابقا وخصوصا الشفوية منها .

« ٢٢٧ » نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٢ ، ٤٦ — ٤٧ .